لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله

كتبه غريب بتاريخ الأربعاء ٢٠ ذي القعدة ١٤٤٢

في هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن، وعم فيه الجهل، اشتبه على بعض من نحسبهم على خير، مسألة علاقتهم العاطفية بأهلهم في النسب المشركين، فاعتقدوا أنه يجوز لهم حبهم حبا فطريا وهذا ما بين ربنا عز وجل بطلانه في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ لا تَجِدُ قَومًا يُؤمِنونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ يُوادّونَ مَن حادَّ اللَّهَ وَرَسولَهُ وَلَو كانوا آباءَهُم أَو أَبناءَهُم أَو إِخوانَهُم أَو عَشيرَتَهُم أُولئِكَ كَتَبَ في قُلوبِهِمُ الإيمانَ وَأَيَّدَهُم بِروحٍ مِنهُ وَيُدخِلُهُم جَنّاتٍ تَجري مِن تَحتِهَا الأَنهارُ خالِدينَ فيها رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضوا عَنهُ أُولئِكَ حِزبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزبَ اللَّهِ هُمُ المُفلِحونَ ﴾

المجادلة: ٢٢

فنفى الله احتمال وجود أي مودة لمن يحاد الله ورسوله، عند من يؤمن بالله واليوم الآخر.

وهذا النفي الثابت بالنص ثابت أيضا بالبديهة العقلية، فلا يعقل أن يجتمع في قلب امرئٍ حب الله ورسوله المؤمنين وحب أعداء الله ورسوله والمؤمنين، لذلك عدم حب الكفار نتيجة حتمية للإيمان بالله واليوم الآخر.

لقد اشتبه على بعض من نحسبهم على خير أمرين في هذه الآية، وهما

أولا عدم معرفة معنى المودة

المودة هي الحب وإبراز الحب في أعمال تنفع من توجه إليه، يقول ربنا عز وجل:

﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا تَتَّخِذوا عَدُوّي وَعَدُوَّكُم أَولِياءَ تُلقونَ إِلَيهِم بِالمَوَدَّةِ وَقَد كَفَروا بِما جاءَكُم مِنَ الحَقِّ يُخرِجونَ الرَّسولَ وَإِيّاكُم أَن تُؤمِنوا بِاللَّهِ رَبِّكُم إِن

كُنتُم خَرَجتُم جِهادًا في سَبيلي وَابتِغاءَ مَرضاتي تُسِرّونَ إِلَيهِم بِالمَوَدَّةِ وَأَنا أَعلَمُ بِما أَخفَيتُم وَما أَعلَنتُم وَمَن يَفعَلهُ مِنكُم فَقَد ضَلَّ سَواءَ السَّبيلِ ›

الممتحنة: ١

يقول أحمد بن خليل الفراهيدي في العين المجلد ٨ الصفحة ١٠٠

ودد, أدد: الود مصدر وددت, وهو يود من الأمنية ومن المودة, ود يود مودة, ومنهم من يجعله على فعل يفعل.

والوداد والوداد مصدر مثل المودة. وهذا ودك ووديدك كما تقول: حبك وحبيبك, قال:

فإن كنت لي ودا فبين مودتي ... ليغشاكم ودي ويسري بكم بغضي.

فالمودة هي الحب وإبراز الحب, وهي التي تستحيل أن تكون للكفار.

الحب الفطري

يعتقد البعض أن هناك حب فطري مستثنى من الآية, ويستدلون بأمرين

الأول جواز الزواج من الكتابية

وهي كافرة, وهذا يعني أن يكون هناك حب فطري نحوها.

وهذا القول باطل وهو من مخلفات الجاهلية فليس كل زواج من أجل الحب, فقد يتزوج الرجل المرأة لأسباب عدة غير أن يحبها الرجل.

الثاني استدلالهم بقوله سبحانه:

‹ إِنَّكَ لا تَهدي مَن أَحبَبتَ وَلكِنَّ اللَّهَ يَهدي مَن يَشاءُ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدينَ ›

القصص: ٥٦

حيث دعي هؤلاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب أبو طالب حبا فطريا.

وهذا القول فاسد أيضاً فالمراد من قوله

‹ إِنَّكَ لا تَهدي مَن أَحبَبتَ ›

أحببت هدايته, وليس أحببته هو نفسه, فمعاذ اللّه أن يحب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من يجعل لله أنداداً, وهو صلى اللّه عليه وسلم أول من ينطبق عليه قوله سبحانه :

‹ لا تَجِدُ قَومًا يُؤمِنونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ يُوادّونَ مَن حادَّ اللَّهَ وَرَسولَهُ وَلَو كانوا آباءَهُم أَو أَبناءَهُم أَو إِخوانَهُم أَو عَشيرَتَهُم أُولئِكَ كَتَبَ في قُلوبِهِمُ الإيمانَ وَأَيَّدَهُم بِروحٍ مِنهُ وَيُدخِلُهُم جَنّاتٍ تَجري مِن تَحتِهَا الأَنهارُ خالِدينَ فيها رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضوا عَنهُ أُولئِكَ حِزبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزبَ اللَّهِ هُمُ المُفلِحونَ ›

المجادلة: ٢٢

أخي المؤمن اعلم أنه لابد من إخلاص الدين كله لله:

‹ أَلا لِلَّهِ الدّينُ الخالِصُ وَالَّذينَ اتَّخَذوا مِن دونِهِ أَولِياءَ ما نَعبُدُهُم إِلّا لِيُقَرِّبونا إِلَى اللَّهِ زُلفى إِنَّ اللَّهَ يَحكُمُ بَينَهُم في ما هُم فيهِ يَختَلِفونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهدي مَن هُوَ كاذِبٌ كَفّارٌ ›

الزمر: ٣

فلابد من إخلاص الدين كله, فلا يتعلق القلب بغير اللّه ولا يكون فيه غير اللّه عز وجل موضع.